الخميـــــــس 01-12-2011

1553- قـــــراءة فـي كراســـــــــات التدريـــــــب

قـرار صعب جدا:

قـررت أخيرا أن أتـوقف عن مـواصلة قـراءة كـراسات الـتدريب بـنفس المـنهج ولـو مـؤقـتا وذلـك عند الـصفحة رقـم 50 بمعنى أن أكف عن تـنـاول مـا خطه شيخنا صفحة صفحة، وكـذا عن إطلاق سراح تـداعيـاتـى بهذه الطلاقـة كما حدث حتى الآن، ذلـك لأننى قـمت بـالمرور فى بضع مئات من الـصفحات الـتالـيـة فـوجدت الـتكرار قـد أصبح هـو الـقـاعدة تـقـريـبـا، وهـذا متـوقع بـداهة، لأنها كـتابـة لـلـتدريب لا أكـثر ولا أقـل. صحيح أنـنى استطعت أن الـتقط فى بـعض مـا تـكـرر الـنص فـيه بـعض الاختلاف فى الـتـرتـيب أو الـشكل أو الـوضوح، وقـد علقت على بـعض ذلك فى حينه فى الـصفحات الـسابـقـة، لـكننى أيـضا كـنت أضبط نـفـسى مـتـلـبـسـا بـالـتعسف فى كـثـير من الأحيـان حتى أتجنب تـكـرار الـتداعى، وقـد اعترفت بـذلك مـرارا.

الاقـتراح الـذى خطر لى حالا، حتى لـو كـان مـؤقـتـا: هـو أن أواصل ولـو لخمسين صفحة أخرى نـفـس الـطـريـقـة لـكـن دون تـنـاول **إلا مـا استجد فى الـتدريب**، بمعنى أنـنى بـدلا من أن أثـبـت أن هـذه الجملة أو هـذا الـسطر سابـقـا فى صفحة كـذا أو كـيت، **لا أعلق إلا عـلى مـا استجد من عـبـارات أو أسطر فـقـط**، هذا مع عرض أصل صورة الـصفحة كـامـلـة ومـقـابـلـهـا بحروف الـطبـاعة، وبـالـتـالى قـد استطيع أن أقـدم خمس صفحات جـديـدة كل مـرة، ربمـا لا أعلـق فـيـهـا إلا عـلى ثـلاث أو أربـع جمل جديـدة لا أكـثـر.

كل هذا قـد يـبـدأ من صفحة 51 إذا لم تـصلنى اعتراضات مقـنعة أو اقـتراحات بـديـلـة.

(ملـحـوظة: أتـوقـع أن يـزيـد الـتـكـرار أكـثـر فـأكـثـر حتى لا أعـود أجد أيـة عـبـارات جـديـدة، أو ربمـا افـتـقـر أنـا إلى أيـة تـداعيـات دالـة، وسـاعتهـا قـد أنـتـقـل إلى الـدراسة الـكمية الـشاملـة الـتى أشرت إلى بـعض ملامحها مسبـقـا والـتى اعلـنت كـراهيـتى ورفـضى الـنسبى لهـا حتى قـبـل خـوضها.

ولـكن ... من يـدرى؟

والآن إلى صفحة 47 بـالمنهج الـقديم:

ص 47 من الـكراسة الأولى

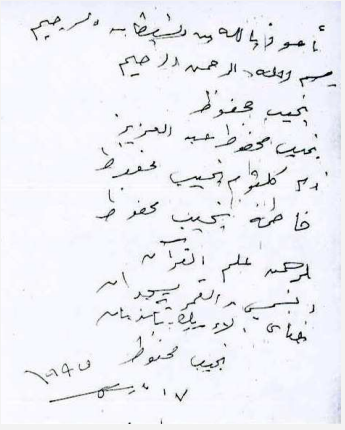

أعوذ بـالله من الـشيطان الـرجيم

بـسم الله الـرحمن الـرحيم

نجيب محفـوظ

نجيب محفـوظ عبد الـعزيـز

أم كـلـثوم نجيب محفوظ

فـاطمة نجيب محفـوظ

الـرحمن علم الـقـرآن

الـشمس والـقـمر يـسجدان

فـبـاي آلاء ربـك تـكذبـان

نجيب محفـوظ

1995/3/17

الـقـراءة:

تـوجد فى هذه الـصفحة إضافـات شكلـية محدودة، مثلا:

يـبدأ الاسـتـاذ بـالاستعاذة بـالله من الـشيطان الـرجيم وهذا أقـل تـواتـرا من الـبدء بـالـبسملة الـتى هى الـقـاعدة.

وأيضا: ذكـر اسم والـده - عبد الـعزيـز - وهذا نـادر نـسبيا، ثم جاء اسم كـريمته أم كـلـثوم قـبل فـاطمة فى حين أننى اعتدت الـعكس غالـبا وأنـا لا أعرف من هى الأكبر منـهما

أمـا سورة الـرحمن، فـقـد وردت من قـبل فى صفحة الـتدريب "15" بـتـاريـخ 1995/2/9 ()، وقـد أشرت فى قـراءة تـلـك الـصفحة إلى احتمـال ذكـرهـا سالـفـا إلا أنـنى لم أجدهـا تحديـدا، لـكننى نـبهت فى تـلـك الـصفحة (15) إلى الـفـرق بين "علّم الـقـرآن" و "أنـزل الـقـرآن"، وربـطت بين ذلـك وبـين أول سورة أنـزلـت من أى الـذكـر الحكيم "إقـرأ بـاسم ربـك الـذى خلـق".

الآن يـتـيح لـنـا شيخنـا أن نـقـف ونـستلـهم المزيـد مما كـتب وهو يـتدرب بهذه الآيـات الـبـينـات من سورة الـرحمن، فـنلاحظ أولا أنـه كـتب بـعد علّم الـقـرآن "الـشمس والـقـمر يـسجدان" وبمراجعة الـسورة لم أجد هذا الـنص، وإنمـا "الـشمس والـقـمر بحسبـان"، أمـا الـلـذان يـسجدان فـهمـا "الـنجم والـشجر يـسجدان"، وهذا لـيس خطأ فـيمـا جرى على قـلـم الأسـتـاذ فـهو لم يـذكـر أنهـا آيـة مقـتـطفـة، فـمن حقـه أن يحضره سجود الـشمس والـقـمر حتى لـو أتـى ذلـك من خلال الـسيـاق ولـيس الـنص مـادام لم يـثبت أنهـا آيـات مقـتـطفـة أو متـتـابـعة.

رحت أبحث عن سجود الشمس والقمر دون ارتباط بما ورد فى سورة الرحمن تحديدا فوجدت أن سجود الشمس والقمر وما إلى ذلك شديد التواتر فى سياقات متعددة متكاملة بما قد يفسر حضورهما هكذا دون أدنى حرج.

هذه التجربة الجديدة جعلتنى أتمادى فى فرض استلهمته من صلاتى مع الشمس وصيامى مع القمر ورفضى للحسابات الفلكية لبدء الصيام وإنهائه بديلا عن الحسابات الفلكية المميكنة، وتدعيما لهذه العلاقة المباشرة بين الإيقاع الحيوى البشرى والإيقاع الحيوى الكونى مرورا بالطبيعة الحية وأفلاكها ومنها الشمس والقمر وهما يسجدان لخالقهما تعالى (الآية 18 سورة الحج)، ويسخّران لبارئهما (الآية 61: سورة العنكبوت)، ويسبحان بحمده تعالى (الآية: 33 سورة الأنبياء)، ويجريان لأجل مسمى، وفى نفس الوقت يسخرهما ربنا لنا (الآية: 33 سورة إبراهيم)، .. إلخ، ويبلغ هذا التناغم مداه حين يذكر التكوير (الذى هو عندى مواز للإيقاع الحيوى جدلا) "يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى"، ثم يُجمعان إلى بعضهما البعض "وجمع الشمس والقمر" (الآية: 9 سورة القيامة)

أتوقف هنا لأنفى مكررا ومصرا أن هذا ليس تفسيرا علميا للقرآن، فالإيقاع الحيوى الذى أتحدث عنه بما يتعلق بدورات نمو الإنسان فى الصحة والمرض ليس علما أدعم به كتابى الكريم وإنما هو مجرد "فرض عامل" كجزء من نظريتى الخاصة "النظرية الإيقاعية التطورية" وربما أكون استلهمتها من دينى وكدحى إلى وجه ربى، ومن دورات مرضاى صعودا وهبوطا فلا داع للتمحك بمشروع نظرية لم تزل فرضا وادعاء أن القرآن الكريم سبقنى إليها، وإلا شوهتها ولم أضف إلى القرآن فضلا كما يتصور من يمارسون ما يسمى التفسير العلمى.

التفسير العلمى للقرآن هى ضد موقفى نحو القرآن ونحو العلم جميعا، لا القرآن يحتاج إلى علم يفسره، ولا العلم أكثر مصداقية حتى يدعم كلام ربى.

أرجع إلى الآية الكريمة " الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ " كما ورد معناها فى سورة الرحمن وليس كما وردت فى تدريبات الأستاذ فأجد التفاسير المتاحة تختزل كل هذا إلى حسابات أشبه بالعلم المختزل مثل : لولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب شيئا لو كان الدهر كله ليلا أو نهاراً، ومثل بحسبان : تقدير آجالهما أى يجرى بآجال كآجال الناس، أو بحسبان الوحى أو "متعافيين"

أرفض كل ذلك محذرا من الاختزال والحرفية والتسطيح لأنتقل لما هو أصعب "فبأى آلاء ربما تكذبان"

لم أتوقف كثيرا قبل ذلك عند معنى هذه الآية تحديدا، ربما احتراما لما وصلنى من جمال الإيقاع بما لا يحتاج لغير ذلك مما ذكرته فى نشرة صفحة "15" قائلا عنها: "الآية المتكررة بشكل هندسى سيمفونى رائع طوال السورة "فبأى آلاء ربكما تكذبان"، بصراحة كنت استقبل هذه الآية على أنها خطاب لى

شخصيا وليس لهما وكأنها "فبأى نعمة ربكَ تكذب" وكان هذا يكفينى للإفاقة والاعتذار بالإضافة إلى ما يصلنى من الوعى الإيقاعى الخالص الذى يصلنى مباشرة من القرآن الكريم بغض النظر عن معنى المحتوى المعجمى خاصة، لكن حين عادت الآية هكذا فى هذه الصفحة الجديدة تطلّ علىّ اضطررت أن أتوقف عند المخاطبين، وهما الإنس والجن.

فى خبرتى المهنية بعد خمس وخمسين عاما **صرت أعامل "المحيط" الخارجى تماما مثل الواقع الداخلى بإقرار موضوعى فعلا،** وكلما حضرنى مريض يشكو من مس من الجن، وحتى قبل أن يتحجج بأن الجن ورد فى القرآن، أبين له أن القرآن كتابى، وأنى أعترف بوجود الجن مثله وربما أكثر، لأننى أعترف به واقعا داخليا ممتدا أقرب إلىّ وإلى تناولنا معا،

حكاية حضور الجن كواقع داخلى دون حاجة إلى إسقاطه فى الواقع الخارجى أصبحت أساسا فى ممارستى، لكننى لم أعد أتعجل فى تسميته باسم آخر مثل "حالات العقل" أو "حالات الذات" ووجود هذه الكيانات بالداخل لا يتعارض حتى مع أصل الكلمة اللغوى الذى يعنى الخفاء والستر

انطلاقا من هذا الفرض العامل رحت أقرأ بعض الآيات التى ذكر فيها الجن فى القرآن فأفرح أن القرآن يخاطب هذا العالم الواقعى داخلى بكل هذا الاحترام، وأتأكد أكثر من استحالة الإلحاد ليس فقط بيولوجيا وإنما أيضا تركيبا نفسيا، وأن الذوات بداخلى يمكن أن تؤمن بالله سبحانه وتعالى حتى لو ألحدت هذه القشرة الخارجية الجافة المسماة "العقل"،

وحين رحت أستلهم آيات القرآن التى ورد فيها ذكر الجان من هذا المنطلق دون ادعاء تفسيرها لا علميا ولا تفسيرها أصلا، وجدت نفسى أفرح ان أغلب "حالات ذاتى" من الجن بداخلى، قد استمعت إلى كلام الله وقالوا "إنا سمعنا قرآنا عجبا" يهدى إلى الرشد فآمنا به، وأصدق أن هذا الإيمان النابع من الداخل المدعم بالخارج غالبا هو أقوى وأصلب من ألعاب عضلة العقل الظاهرة .

دون اختزال، ودون الاحتجاج بعلم مغترب، بل من واقع الممارسة عدت اقرأ كل الآيات التى وردت فيها الجن، وباستثناء سورة النمل لم أجد آية واحدة فى طول القرآن وعرضه إلا وتطمئننى على وجاهة هذا الاستلهام الذى أفرز هذا الفرض وعلى فائدته وقيمته، على الأقل فى علاج مرضاى ليس فقط الذين يمسهم الجن الداخلى كما اتفقنا، وإنما الذين يجمع العلاج الإنس والجن فيهم نحو تآلف ذواتهم على مسار جدل النمو إلى الكدح على الطريق سعيا إلى التناسق مع الوعى الكونى إلى وجه الله وهذا ما اعتبره قمة "الصحة الإيجابية"

أكرر بلا ملل أن هذا ليس تفسيرا علميا للقرآن، وإنما هو استلهام من خلال مطابقة بين خبرة واقعية مهنية وبين فرض عامل يصح أو لا يصح، فإن صح الفرض فالحمد لله على ما أفادنى وأفاد وقد يفيد مرضاى والناس، وإن لم يصح فلا مجال لأن ينال كلام الله أى مساس لأنه هو الصحيح بذاته فى ذاته لذاته.

- نشرة 18-2-2010، قراءة فى كراسات التدريب، صفحة رقم "15"، العدد 902